الباردة.. سماء الفكر والفن. إنه «علمها قواعد السلوك وراضها على العادات التي تمنع السيدات المهذبات من كسب قوتهن بعرق جبينهن دون أن يمنحها دخل السيدات المهذبات[58]».

ويخيرها الأستاذ «هيجنز» بين الحياة الفلسفية الفكرية الباردة، العالية، والحياة الواقعية الحارة، على السفح حيث يتزوجها «حنزير مكتنز بالعواطف الرخيصة وبالمال الكثير، له شفتان سميكتان»[59]. يقبلها بهما، ونعلان سميكان يضربها بهما، فتختار الحياة الثانية، وتتزوج رجلاً من الطبقة السفلى، لأن الحياة الأولى، حياة الفكر البارد.. حياة «هيجنز» لاتتلاءم مع مزاجها وطبيعتها وأنوثتها المتفتحة. وقد شعر «هيجنز» بعد ذهاب «أليزا» أنه سجين ذاته، وتمنى لو يستطيع أن ينفلت من عقال الذات ليحيا مع «أليزا» عند السفوح[60]، ولكن هيهات، فقد قررت «أليزا» مصيرها وانتهى الأمر.

وفي «الإنسان والسوبرمان» نجد الشاب «جون تانر» صاحب الآراء التقدمية الذي لايتقيد بالعادات والمواضعات الاجتماعية، يؤمن «بالإنسان الأعلى» أو «السوبرمان» الذي بشرت به أبحاث العالم الانجليزي «داروين»، والفيلسوف الألماني «نيتشه»، ويريد أن يكون ذلك الإنسان الأعلى سيد الطبيعة، كما يريد من صديقه الفنان «أوكتافيوس» أن يكونه أيضاً، فيحذره من الوقوع في شباك الفتاة «آن» التي يحبها، لأن الفنان الأصيل - في رأي «جون تانر» ينبغي ألا «يقع أبداً في مخالب امرأة، أو يقبل أن تلتهمه في عرينها هذا الذي يسمونه بيت الزوجية»[61]، بل يحس به أن يتفرغ لفنه وحده، وأن يعزف عن المرأة والزواج وإنجاب الأطفال. إن المرأة أداة الطبيعة لخلق الحياة، والفنان أداة الطبيعة لخلق حياة أسمى. والمرأة تضحي بنفسها راضية لتقوم بوظيفتها الحيوية[62]، فكيف لاتضحي إذن بالفنان في سبيل غوايتها الحيوية؟؟.

نعم، إن الفنان يستطيع أن يتصل بالنساء، ولكن اتصاله بهن، في رأي «جون تانر»، يتم بغرض تشريحهن ودرسهن وسبر أغوار نفوسهن، واتحادهن وسائل يذكين فيه موهبة الفن، ويزودنه «بالرؤى والأحلام» التي يتخذها مادة